

4 - النفوذ اللغوي : ان القرشيين لم يقفوا حجر عثرة في سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها ، فاضافوا اليها ، ما هي في ميسس الحاجة اليه ، وما راوه اخف على اسماهم ، وايسر على السنتهم .

فهذه العوامل قد هيات للقرشية سبيل الفوز والنجاح ومكنتها من ان تصبح لغة العرب جميعا ، وقد اكتسبت من هذا الصراع امورا عظيمة ، هيات لها سبيل التقدم والرقي .

فانت ترى ان قريشا ، افردت بملو الكلمة ، وسمة الزعامة ، وسعة الجاه ، ووفرة السلطان وتام النفوذ الروحي والاقتصادي بين العرب ، لما تواتى لهم من ثقافة وخبرة وحكمة .

والذي ورث من لغة الحميريين ليس كثير التمييز من لغة قريش ، سواء في التصريف ام في الالعاب ام في الاسلوب ، بل ان اكثره ظاهر في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة ، فلفظ « انطى » في لهجة الحميريين معناه « اعطى » عند القرشيين ، و « الكتح » عند الاولين هو « اللذب » عند الآخرين ، و « الشناتر » عند حمير هي : « الاصابع » عند قريش ، و « سامدون » في لغة حمير هي : « الغناء » في لهجة قريش ، الى غير ذلك مما تجد له نظيرا في لهجات مضر « كالسدة » فهي « الظلمة » عند تميم و « الضوء » في لغة قريش .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب ، ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الاخرى في لغة قريش التي صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات وقد استفادت القرشية من صراهما مع اللهجات العربية الاخرى ، امورا كثيرة اهمها :

1 - انها استفادت كثيرا من المفردات والاساليب ولاسيما التي كانت تنقصها لتنوع فنون القول ، وتمكنت من التعبير عن جميع الاعراض ، التي كانت تنقصها ، وفتحت بالمترادف والمشتراك والمتضاد ، وغيرها من الامور التي كانت كبيرة الاثر في نمو اللغة وسعتها .

2 - وانها صارت اللغة القومية للعرب جميعا ، لان اللغات او اللهجات اذا تصارعت وكتب لاحداها الفوز ، انجبه الجميع الى التكلم بها ولذلك صارت اللهجة القرشية لغة الشعراء في اشعارهم والخطباء

في خطبهم ، ويؤكد ذلك ان العرب على اختلاف قبائلهم ، ورد اليها شعرهم بلغة واحدة ، الا في القليل النادر ، وهو الذي كان عليه الاعتماد في تصرف البقية من لهجاتهم .

وانت ترى بعد هذا الالعاب ان احتكاك اللهجات العربية ادى في نهاية الامر الى ترمز اللهجة القرشية وصرها جميع اللهجات ، الا انه قد بقي لكل قبيل بعض الالفاظ التي كانوا يستعملونها في مخاطبتهم ، وفي النادر من اشعارهم والذي يرشدنا الى هذه البقية من اللهجات مصدران :

المصدر الاول :

القراءات التي رويت في القردان الكريم من امة القراء الموثوق بهم ، والذين نقلت اليها قراءاتهم من طرق ، لا يتسرب الشك اليها .

وقد روي عن ابي بن كعب ، قال : دخلت المسجد اصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ ، فخالفني في القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من اقراك ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جاء رجل فقام يصلي ، فقرأ وافتتح فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل من صلاته ، قلت من اقراك ؟ قال رسول الله ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كان في الجاهلية ، فاخذت بايديهما ، وانطلقت بهما الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت استقرئ هذين فاستقرأ احدهما ، وقال : احسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب اشد مما كنت في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر وقال : احسنت ، فدخل صدري من الشك والتكذيب اشد مما كنت في الجاهلية ، فضرب رسول الله صدري بيده ، وقال : اميدك بالله يا ابي من الشك ، ثم قال : ان جبريل - صلى الله عليه وسلم - اتاني فقال : ان ربك - عز وجل - يأمرك ان تقرأ القردان على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن امتي ، ثم عاد ، فقال : ان ربك - عز وجل - يأمرك ان تقرأ القردان على حرفين ، فقلت : اللهم خفف عن امتي ، ثم عاد ، وقال : ان ربك - عز وجل - يأمرك ان تقرأ القردان على سبعة احرف .

فهذا الحديث صريح في اجازة النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة والسلام - القراءات التي هي مصدر لاختلاف اللهجات .

والمصدر الثاني : ما رواه الثقات في كتب النحو والادب واللفظة والتاريخ ، من آثار تلك اللهجات ،

لم تكن كبيرة ، وان اللهجة الفصحى مبنية على جميع هذه اللهجات .

ويعتقد العلامة « فويدي » : ان اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها اهل نجد والناطق المجاورة لها ، ولكنها ليست لهجة معينة لقبيلة معينة .

ويقول « نلينو » : ان اللغة الفصحى وهي لغة الشعر الجاهلي ، هي لغة القبائل التي اشتهرت بالبراعة في نظم القصيد ، والتي تردد اليها النحاة وعلماء اللغة في الاسلام ، ليتعلموا من اهلها صحة النطق بالحروف او المعاني الغريبة والشواهد لقواعد النحو ، وهي قبائل « معد » التي جمع ملوك « كندة » كلمتها قبل منتصف القرن الخامس للميلاد .

ويرى ان اللهجة الفصحى تولدت من احدي اللهجات النجدية، وتهدبت في مملكة كندة وفي ايامها، فصارت اللغة الادبية السائدة بين العرب . وذكر « فيشر » ان العربية الفصحى هي لهجة معينة . ولكن فيشر لم يعين اسم هذه اللهجة .

اما « هارتمن » و« فولرس » فخلاصة رايهما : ان العربية الفصحى هي لهجة اعراب نجد واليمامة ، غير ان الشعراء ادخلوا عليها تغييرات عديدة ، اما الاجزاء الباقية من الجزيرة ، فكانت تتكلم اللهجات اخرى .

ومن رأي « بروكلمن » و « ويتزشتاين » وآخرين : ان اللهجة العربية الفصحى لم يتكلم بها على الشكل الذي نعرفه . ولم يشرح « بروكلمن » علاقة هذه اللهجة ببقية اللهجات .

والعالم « لندبرج » يقول : « ان قواعد اللهجة العربية الفصحى ، من وضع الشعراء ، فمن شعرهم استخرجت القواعد ، ومن قصالدهم استنبطت . »

هذا مجمل آراء كوكبة من كواكب العلم والاستشراق والدراسات الواسعة ، ومع انها آراء تبدو مختلفة ، الا انها جميعها تعطي صورة صادقة لفصاحة القبائل العربية المنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها .

وما يدعو الى الانتباه ان العلماء لم يتفقوا على اول لاهج بالعربية ، ولكن باحثي اللغات اختلفوا شيئا وطوائف ، حسب ما بدأ لهم من اساسها الحدى والتخمين .

وما يذكر استطرادا بهذا الصدد ، ان الخلاف بين اللهجات متعدد النواحي ، متشعب الجهات ، فتارة يكون الخلاف ناشئا عن اختلاف الحروف واخرى من تباين الحركات ، وثالثة من اختلاف حركات الاءراب والبناء وآونة يتعلق بهيئة المنطق ، وبالنظر الى ما وصلنا من لهجات العرب يمكننا ان نحصر مظاهر اختلاف اللهجات فيما يلي :

- 1 - الإبدال : ويشمل ابدال الحروف من الحروف والحركات من الحركات .
- 2 - التصحيح والاملا .
- 3 - الاختلاف في الاءراب .
- 4 - التردد بين الاءراب والبناء .
- 5 - الزيادة والنقصان .
- 6 - الفك والادغام .

7 - هيئة النطق وهي تشمل الامالة والترقيق والتفخيم والاختفاء والاظهار .

8 - تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وهو القلب الكاني .

8 - دلالة اللفظ على معنيين ، وهو المشترك والمتضاد .

10 - دلالة عدة الفاظ على معنى واحد وهو المترادف .

وما سبق بيانه ، يتضح ان قريشا كانت تحتكر التجارة الخارجية في شبه الجزيرة العربية وكانت تقطن مكة ، وما لا يحتاج الى دليل ان مكة من الزمان القديم العاصمة الروحية للعرب ، افلا يكون هذا كافيا لان تتفوق لهجة قريش على غيرها من اللهجات آنذاك .

واذا كنا وصلنا الى هذا الحد من الكتابة عن اللهجات العربية ، وهرفنا آراء علماء العربية فيها ، فلا نرى مانعا من ذكر آراء كوكبة الاستشراق الذين اتوا بأرائهم لمروضة العلم في ذاته ، دون تعصب أو سطحية .

فالمستشرق « نولدكه » يرى : ان الفروق بين اللهجات في الاتسام الرئيسية من جزيرة العرب ، مثل الحجاز ونجد مناطق البادية المتاخمة للفرات ،